هل كان للأقباط دور تاريخي في مقاومة المحتل
(حملات صليبية.. فرنسي.. بريطاني)؟

بقلم الأستاذ؛ هاني السباعي
مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية

الأقباط واستعراض القوة:

التظـاهرة غـير المـبررة والمفتعلة الـتي قـامت في الكاتدرائية القبطية في القـــــاهرة بــــزعم خطف زوجة القسيس الذي تبين بعدها أن السيدة وفاء قسـطنطين لم تخطف وأنها أسلمت سراً منذ سنوات وحفظت 17 جزءاً من القـرآن الكـريم ثم قـررت أن تعلن إسـلامها وتـركت مـنزل الزوجية الـذي انفسخ بحكم إسـلامها.. فـإذا بقيامة الأقبــاط قد قــامت وغــرهم انشــغال الشــعب المصــري المســـلم بما يعانيه من قهر وظلم وتضـــييق في حريته ورزقـــه.. غـــرهم تحـــريض أقبـــاط المهجر وخفـــافيش إلبنتـاجون.. واسـتمروا في العصـيان لكن الملفت للانتبـاه أن هــذه التظــاهرة قــوبلت كســابقتها (تظــاهرة القس المشلوح الذي نشرت له صـور خليعـة) قـوبلت التظـاهرة من رجـال الأمن بصـبر منقطع النظـير وغـير معهـود على هـؤلاء الأشـاوس الـذين يتعـاملون مع مثل هـذه الأحـداث رغم استفزاز المتظاهرين لقـوات الأمن والحكومة وترديد شعارات معادية للإسلام وأهل البلد والحكومة نفسها حتى وصل الأمر إلى إصابة أكـثر من أربعين من ضـباط وجنـود الشـــــرطة مما اضـــــطرهم للقبض على بعض هـــــؤلاء المتظـاهرين.. والعجيب أن الكنيسة انتفضت فجـأة وكـأن شعارهم (يا لثارات الأقباط).

ثم إننا نجد أنفســنا أمــام هــذا الاســتعراض الطائفي مسلطين الضوء على الحقائق التالية:

أولاً: هذه تظاهرة لاستعراض القوة ومحاولة لابتزاز الحكومة التي دأبت على تـدليل الأقلية القبطية والرضـوخ

لمطالبهم المتعسفة التي يفتقدها الشعب المسلم في مصر، بل يطالب عدد كبير من المسلمين أن تعاملهم الحكومة مثلما تعامل الأقلية المسيحية حيث كل أنواع القمع والتضييق على المسلمين سواء في الفصل من الوظائف الحكومية والتربوية وإحالة العديد من المدرسين إلى وظائف إدارية، والطرد من المؤسسة العسكرية أو جهاز الشرطة أو الأجهزة الإدارية الحساسة وغير الحساسة في الدولة لكل من يشتبه أن له قريباً كان ذات يوم معتقلاً سياسياً أو يشتبه بأن هذا القريب كانت له صلة بالجماعات الإسلامية، بالإضافة إلى حملة حكومية منظمة بغية تجفيف المنابع الإسلامية سواء في برامج الإعلام أو المناهج التعليمية.

ثانياً: اعتقاد بعض رجال الكنيسة المصرية أن **ظهرهم محمي** وأن وراءهم الغرب المسيحي وعلى رأسهم أمريكا؛ هذا الاعتقاد قد أدى إلى افتعال أحداث والمبالغة فيها بغية التزلف للغرب المعادي للإسلام كحادثة الكشح عام 2000م، وحادثة القس المشلوح بدير المحرق بأسيوط؛ صاحب الصور الخليعة عام 2001م، ثم حادثة السيدة وفاء قسطنطين عام 2004م التي أسلمت وأجبرت على العودة إلى الكنيسة مما يتصادم مع النظام العام في مصر هو الإسلام.. ومن ثم الضغط على الحكومة بزعم أن الأقباط في مصر مضطهدون من قبل المسلمين وأن الحكومة تشجعهم.

ثالثاً: إنشغال الحكومة في مطاردة وملاحقة الإسلاميين (60 ألف معتقل مسلم لا يوجد بينهم نصراني) عبر سلسلة المحاكمات العسكرية وتأميم النقابات المهنية وفرض الحراسات عليها والاعتقال طويل الأمد ومحاربة روح التدين، والسخرية من الهدي الظاهر لدى المتدينين المسلمين كالنقاب واللحية وتسخير كافة الأجهزة الأمنية لمحاربة الإسلاميين تحت شعار محاربة (الإرهاب)، وأحداث سبتمبر 2001م وجنون أميركا، واحتلالها العراق 2003م؛ كل ذلك شجع زعماء الكنيسة المصرية أن تدبر بليل تلكم التظاهرات وهي مطمئنة من عدم ملاحقة قوات الأمن لأتباعها لأن ظهرهم محمي جداً من أميركا وأوروبا.

رابعاً: ارتفاع منحنى حماس الأقلية النصرانية في مصر بعد اعتراف الغرب بتيمور الشرقية للأقلية المسيحية وإجبار أندونسيا على الاعتراف بهذا الانفصال

عن الدولة الأم.. ونود أن نهمس في أذن الأقباط أن مصر الإسلامية التي افتتحها عمرو بن العاص والزبير بن العوام وعبادة بن الصامت وكل هؤلاء الأخيار **لا ولن تكون قبطية مرة أخرى**، ولن يعود التاريخ كما يحلم الواهمون.

النقطة الأولى: تمرد الأقباط المسلح تاريخيا[1]:

بعد هذه التقدمة نود أن نلقي الضوء على جانب من تمرد الأقباط ونقضهم عقد الذمة منذ الفتح الإسلامي سنة 20هـ، رغم تعامل ولاة المسلمين معهم بكل تسامح، فكانوا يتظاهرون ويعلنون العصيان المسلح على الدولة ويقتلون عمال الحكومة ويتصلون بدولة الروم ثم يتصدى الحكام لهم بإرسال من يطالبهم بفض العصيان في مقابل العفو عنهم إلا أنهم في الغالب يتعنتون ويصرون على التمرد بزعم أن دولة الروم قد تساعدهم غير أن حساباتهم كانت على الدوام خاطئة فسرعان ما ينتصر عليهم جيش المسلمين ثم يعفو عنهم الخليفة أو الوالي ويجددون له الولاء والطاعة والالتزام

[1] كل هذه المعلومات منتقاة من عدة مصادر تاريخية لمؤرخين كبار من أمثال: ابن عبد الحكم (ت257هـ) في كتابه (فتوح مصر وأخبارها)، خليفة بن خياط (ت240هـ) في كتابه (تاريخ خليفة بن خياط)، ابن تغري بردي (ت 874هـ) في كتابه (النجوم الزاهرة)، الذهبي (ت748هـ) في كتابه (تاريخ الإسلام)، المقريزي (ت 845هـ) في كتابه المواعظ والإعتبار، القلقشندي (ت821هـ) في كتابه كتاب (صبح الأعشى)، ابن إياس (ت 930هـ) في كتابه (بدائع الزهور)، الجبرتي (ت 1241هـ) في كتابه (عجائب الآثار)، الماوردي (ت450هـ) في كتابه (الأحكام السلطانية)، أبو يوسف (ت187هـ) في كتابه الخراج، يحيى بن آدم القرشي (ت203هـ) في كتابه الخراج، ابن الأثير (ت630هـ) في كتابه (الكامل في التاريخ)، البلاذري (ت279هـ) في كتابه (فتوح البلدان)، ابن القيم (ت751هـ) في كتابه (أحكام أهل الذمة)، الفريد بتلر المؤرخ الإنجليزي في كتابه (فتح العرب لمصر) تعريب محمد فريد أبو حديد، سيدة إسماعيل الكاشف (الدكتورة) في كتابها (مصر في فجر التاريخ)، وغير ذلك من مصادر قديمة وحديثة لم نشأ ذكرها حتى لا نرهق القارئ وخاصة أن هذه مجرد مقالة لتبسيط المسألة القبطية لدى الشباب المعاصر.

بنــود عقد الذمة المنصــوص عليه في اتفــاقيتي بــابليون الأولى (الخاصة بأهل مصر قبل فتح الإســكندرية) ســـنة 20هــ وبـابليون الثانية (الخاصة بأهل الإسـكندرية) سـنة 20هـ أيضاً، لكنهم يعودون مرة أخرى لعصيانهم متـذرعين بأحـداث لا تتناسب وحجم عصـيانهم المسـلح.. وهـذا ما سـنمر عليه سـريعاً عــبر هــذه المحطــات **التاريخية السريعة التالية:**

الأول: في ولاية عبد العزيز بن مـــروان (65 - 86هـ) علي مصر قام بطريك الكنيسة المصرية بالاتصـال بملكي الحبشة والنوبة للتآمر على الدولة الإسلامية.

الثـاني: تمـردهم على الخليفة الأمـوي مـروان بن محمد بعد أن تبين أنه مطارد من قبل العباسـيين وتـآمروا على قتله سنة 132هـ.

الثـالث: اسـتغلوا الفتنة الــتي قــامت بين الأمين والمأمون فأعلنوا عصيانهم بقيـادة قساوسـتهم ورهبـانهم في وجه بحري.

الرابع: وفي عهد الوالي عبد الله بن عبد الملك بن مروان (86 ـ 90هـ) قامت حركة تمرد ضد الدولة بقيادة قساوسة وادي النطـــرون وبطـــرك الكنيسة القبطية في الإسكندرية وتم إخماد المؤامرة.

الخامس: في عهد والي مصر قرة بن شــريك (90 ـ 96هـ) تمـرد النصـارى وظل يطـاردهم قـرة بن شـريك حتى توفي وجاء بعهده أسـامة بن زيد التنـوخي واسـتطاع اخماد الفتن.

الســادس: وفي عهد الخليفة الأمــوي عمر بن عبد العزيز (99 ـــ 101هـــ) ورغم تســامحه إلا أنهم كــانوا يتآمرون سراً على الدولة الإسلامية.

الســــابع: في عهد الخليفة الأمــــوي يزيد بن عبد الملك (101 ـــ 105هــ) تـآمر النصـارى وتمـردوا على الحكومة مما جعل الخليفة يرسل جيشــاً لقمع تمـــردهم ولذلك فإنهم يكرهونه جداً ويصفونه بالشيطان.

الثـامن: وفي عهد الخليفة الأمـوي هشـام بن عبد الملك (105 - 125هـ) فـرغم تعامله مع نصـارى مصر بالتسامح إلا أنهم تمردوا وتم قمع تمردهم.

أقـول: لكن هـذه الحركـات المناوئة للدولة وإعلان العصيان لم تكن كبيرة بالمقارنة لما سيحدث بعد ذلك.

التاسع: في عهد هشـام بن عبد الملك (106 - 126هـ) تحديـداً في سـنة 121هـ أعلن أقبـاط الصـعيد عصيانهم وعـدم الـتزامهم باتفاقية بـابليون الأولى والثانية وقاتلوا عمال الحكومة، وكـان والي مصر في ذلك الـوقت حنظلة بن صـفوان (119 - 124هـ) فأرسل لهم جيشـاً لقتالهم فانتصر عليهم وقضى على فتنتهم.

العاشر: لم تهدأ حركة عصيان النصارى رغم تعامل الحكومـات الإسـلامية بالحسـنى وبالشـروط الـتي قبلوها والتزموا بها منذ الفتح الأول لمصر سـنة 20هـ. وفي ذلك الـوقت أي في سـنة 132هـ تمـرد رجل نصـراني من (سمنود) اسـمه (يحنس) وجمع حوله مجموعة كبـيرة من النصارى المسلحين لكن والي مصر عبد الملك بن موسى بن نصـير أرسل جيشـاً لمحاربته فانتصر عليهم وقتل يحنس.

حـادي عشر: وفي عهد مـروان بن محمد (129 - 132هـ) آخر الخلفـاء الأمـويين أعلن القبط بمدينة رشـيد عصـيانهم فأرسل جيشـاً فقضى على تمـردهم. وفي عهد هـذا الخليفة أيضـاً أثنـاء هروبه من العباسـيين تمـرد أهل (البشرود) واستغلوا فرصة انشـغاله بحربه مع العباسـيين فتـآمروا عليه وكـانوا سـبباً في قتله سـنة 132هـ لـذلك كافأهم العباسيون في أول عهدهم.

ثاني عشر: وفي عهد الخليفة العباسي أبو العباس السفاح (132 - 137هـ) تمرد الأقباط في مدينة (سمنود) بزعامة شخص يدعى (أبو مينا) فبعث إليهم أبو عون والي مصر (133 - 136هـ) جيشـاً لمحـاربتهم فهزمـوا وقتل زعيمهم (أبو مينا).

ثالث عشر: ثم ما لبث الأقباط أن أعلنوا عصـيانهم في مدينة (سـخا) 150هـ إبـان ولاية يزيد بن حـاتم بن قبيصة على مصر (144 - 152هـ) واتسع التمـرد فانضم إليهم أقبـاط (البشـرود) وبعض منـاطق الوجه البحـري

فقويت شوكتهم بعد أن هزم الجيش الذي أرسله الوالي والذي شجعهم على ذلك أنهم كانوا على اتصل بالكنيسة البيزنطية من خلال الجواسيس الذين ينزلون الإسكندرية ومحافظات الوجه البحري على هيئة تجار فكانوا يحرضونهم على التمرد والعصيان على دولة الخلافة. لذلك نجدهم يجاهرون بعدائهم ويجمعون أعداداً كبيرة من الأقباط سنة 156هـ في ولاية موسى بن علي اللخمي (155 - 161هـ) فأرسل لهم جيشاً فهزمهم.

رابع عشر: لكن أعتى تمرد وأعنفه كان في سنة 216 هـ إبان عهد الخليفة المأمون (198 ـ 218هـ) وكان والي مصر وقتئذ عيسى بن منصور حيث تمرد أقباط الوجه البحري كلهم لدرجة أن الخليفة المأمون بنفسه قدم مصر على رأس جيش فكسر شوكتهم بقيادة قائده الشهير (الأفشين) واستطاع أن يلحق الهزيمة بأهل البشرود أو البشمور (كانوا يقطنون المنطقة الواقعة بين فرعي دمياط ورشيد) وكانت هذه المنطقة تحيط بها المستنقعات والأوحال التي كانت تعيق حركة الجند لذلك كانوا يعلنون عصيانهم كثيراً نظراً لطبيعة أرضهم مما كان يضطر الجند للانصراف عنهم لكن هذه المرة لم يهدأ الأشفين إلا أن يقتحم حصونهم ويلحق الهزيمة بهم حتى جاء كبار قساوستهم وأعلنوا ولاءهم لدولة الخلافة مرة أخرى، وقد قبل منهم الخليفة المأمون حسب شروط اتفاقية بابليون الأولى والثانية. ونلاحظ أن الخليفة المأمون أحضر معه بطرك أنطاكية (ديونسيوس) ثم أرسل إلى أقباط البشرود وضواحيها البطرك (أنايوساب) والبطرك (ديونسيوس) ووعدهم ألا يعاقبهم إن هم رجعوا عن عصيانهم لكنهم رفضوا وغرتهم قوتهم وحصونهم ولم يجيبوا البطركين فحاصرهم الخليفة المأمون مع قائده الإفشين حتى هزمهم ثم غادر الخليفة المأمون مصر سنة 217 هـ بعد أن ظل فيها أكثر من أربعين يوماً ثم عاد إلى عاصمة الخلافة بغداد.

وقد ذكر ابن القيم تململ الخليفة المأمون منهم لدرجة أن المسلمين كانوا يتظلمون منهم أو كما قال: "قال عمرو بن عبد الله الشيباني: استحضرني المأمون في بعض لياليه ونحن بمصر، فقال لي: قد **كثرت سعايات النصارى، وتظلم المسلمون منهم**، وخذلوا السلطان في ماله"[2].

---

[2] ابن القيم: أحكام أهل الذمة ــ تحقيق طه عبد الرؤوف ــ دار الكتب العلمية بيروت 1415هـ ص170.

وكانت هذه آخر حركة عصيان مسلح قام به الأقباط وخاصة أقباط الوجه البحري ورغم نقضهم لجميع الاتفاقيات المتعلقة بأهل الذمة خلال هذه الفترات التاريخية إلا أن الحكام المسلمين كانوا يعفون عنهم وكان في إمكان هؤلاء الحكام والولاة أن يبيدوهم عن بكرة أبيهم بموجب قانون الحرب وكانت لدى هؤلاء الحجة وهي نقض الأقباط العقود المتعلقة بأهل الذمة، لكنهم للأسف الشديد ظلوا يتربصون بالمسلمين الدوائر خاصة في حالات ضعف الدولة الإسلامية أو في حالات العدوان الذي شنه أعداء الأمة الإسلامية بدأ من الصليبيين الأوائل ومروراً بالعدوان الفرنسي على مصر (1213هـ) الموافق (1798م) وانتهاء بالصليبيين الجدد (احتلال بريطانيا لمصر عام 1882م) **ثم موقف بعض الضباط النصارى والجنود إبان العدوان الثلاثي على مصر في عام 1956م عندما كانوا يذهبون للجنود الفرنسيين ويقولون لهم نحن مسيحيون مثلكم**، وكانت فضيحة بكل المقاييس لذلك غضت الدولة الطرف عنها ولم تسلط عليها أضواء وسائل الإعلام خشية غضبة الأمريكان الذين تدخلوا لمساعدة حكومة ناصر في ذلك الوقت.

النقطة الثانية: عيسى العوام.. رمز الوحدة الوطنية (الهلال والصليب):

لقد اختار النظام المصري في حقبة الستينات قصة شاب اسمه عيسى العوام وزعموا أنه كان نصرانياً هذا الشاب الذي كان يحارب مع السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي وكان ماهراً في الغوص والعوم ويتجسس على الصليبيين وينقل الرسائل ويهربها للسلطان صلاح الدين وكانت هذه القصة ضمن المقرر الدراسي لتلاميذ المرحلة الابتدائية ولم يكتفوا بذلك بل شخصت في فيلم (الناصر صلاح الدين) ليؤكدوا على هذه الوحدة الوطنية الموهومة ليثبتوا أن الأقباط شركاء للمسلمين في الوطن (مصر) وأنهم شركاء في مقاومة المحتل (الصليبيين/الفرنسيس/الإنجليز) ثم ثبت أن أصل القصة مختلق ولا علاقة لعيسى العوام الحقيقي بعيسى العوام (النسخة المعدلة) لعبد الرحمن الشرقاوي وكتبة سيناريو فيلم الناصر صلاح الدين.. وحتى لا يظن ظان أننا نفتري على القوم سنستعين بشاهد عيان ومؤرخ أمين (بهاء

الدين بن شداد ت 632هـ) فقد كان موجوداً في عكا إبان حصار الصليبيين لهم في سنة 586هـ وقد ذكر ذلك بالتفصيل في كتابه الماتع (المحاسن اليوسفية) وهذا نصه:

عيسى الغواص الحقيقي كان مسلماً:

قال ابن شداد: "ومن نوادر هذه الواقعة ومحاسنها أن **عواماً مسلماً كان يقال له عيسى**، وكان يدخل إلى البلد بالكتب والنفقات على وسطه ليلاً، على غرة من العدو. وكان يغوص ويخرج منم الجانب الآخر من مراكب العدو، وكان ذات ليلة شد على وسطه ثلاثة أكياس. فيها ألف دينار وكتب للعسكر، وعام في البحر فجرى عليه من أهلكه، وأبطأ خبره عنا وكانت عادته أنه إذا دخل البلد طار طير عرّفنا بوصوله فأبطأ الطير فاستشعر الناس هلاكه، ولما كان بعد أيام بينما الناس على طرف البحر في البلد وإذا البحر قد قذف إليهم ميتاً غريقاً فافتقدوه فوجدوه عيسى العوام، ووجوا على وسطه الذهب وشمع الكتب وكان الذهب نفقة للمجاهدين، فما رؤي من أدى الأمانة في حال حياته وقد أداها بعد وفاته إلا هذا الرجل "[3].

النقطة الثالثة: الحملة الفرنسية (1213هـ/1798م - 1216هـ/1801م) ودور الأقباط فيها:

من منا لا يعرف (المعلم يعقوب حنا القبطي، وملطي، وجرجس الجوهري، وأنطوان الملقب بأبي طاقية، وبرتيلمي الملقب بفرط الرومان، ونصر الله النصراني ترجمان قائمقام بلياز، وميخائيل الصباغ غيرهم من زعماء النصارى) الذين كانوا يعملون مع المحتل الفرنسي لمصر.

لقد استغل نصارى مصر احتلال نابليون لمصر فتقربوا إليه واستعان بهم ليكونوا عيون جيشه حيث كانوا يرشدونهم على بيوت أمراء المماليك ورجال المقاومة الذين كانوا يجاهدون الفرنسيس، وكل ذلك ثابت لدى الجبرتي في عجائب الآثار ونقولا الترك في (أخبار

---

[3] ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ص206.

الفرنساوية وما وقع من أحداث في الديار المصرية)، إذ يؤكد المؤرخان المعاصران للحملة الفرنسية أن نابليون استقدم معه جماعة من نصارى الشام الكاثوليك كتراجمة بالإضافة إلى استعانته بنصارى مصر (الأرثوذكس) وقد ذكر الجبرتي المعلم يعقوب القبطي الذي كان يجمع المال من الأهالي لمصلحة الفرنسيس.

بل إن المعلم يعقوب وصل به الأمر أن كون فرقة من الأقباط لمعاونة المحتل إذ يقول الجبرتي: "ومنها **أن يعقوب القبطي لما تظاهر مع الفرنساوية وجعلوه ساري عسكر القبطة جمع شبان القبط وحلق لحاهم وزياهم بزي مشابه لعسكر الفرنساوية** (..) وصيرهم ساري عسكره وعزوته وجمعهم من أقصى الصعيد، وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى التي هو ساكن بها خلف الجامع الأحمر، وبنى له قلعة وسورها بسور عظيم وأبراج وباب كبير"[4].

بل إنهم كانوا يقطعون الأشجار والنخيل من جميع البساتين **كما تفعل قوات الاحتلال في فلسطين والعراق، ولم يتورعوا في هدم المدافن والمقابر وتسويتها بالأرض خوفاً من تترس المحاربين** حسب وصف الجبرتي.. حتى قال "وبثوا الأعوان وحبسهم وضربهم، فدهى الناس بهذه النازلة التي لم يصابوا بمثلها ولا ما يقاربها"[5].

بل كان زعيمهم (برتيلمي) الذي تلقبه العامة بفرط الرومان لشدة احمرار وجهه ؛ كان يشرف بنفسه على تعذيب المجاهدين وهو الذي قام بحرق المجاهد سليمان الحلبي قاتل كليبر، وكان هذا البرتيلمي يسير في موكب وحاشية ويتعمد إهانة علماء المسلمين ويضيق عليهم في الطرقات محتمياً في أسياده الفرنسيس تماماً مثل ما يحدث في العراق اليوم من خلال الجواسيس الذين يعملون مع الاحتلال الأمريكي الذين يرشدون قوات الاحتلال على بيوت المقاومين.

---

4 الجبرتي: عجائب الآثار/مج4/ص582.

5 الجبرتي: السابق/ص582.

نص عريضة زعمـــاء الأقبـــاط إلى الجنرال منو:

"حضرة ساري عسكر العام:

إن جنــــابكم من قبل ما فيكم من العــــدل والحلم والفطنة أرسـلتم تسـألونا بـان نوضح لكم ما نحن به من القهـر، نحن قبل الآن لم نقصد كشف جراحنا الـتي كـانت في كل يـوم تتسع شـيئاً فشـيئاً؛ أولاً تسـليماً للمقـادير وعشـماً بكـون كل واحد منا يرجع لذاته ويحاسب نفسـه. ثانيـاً خوفـاً من أن يقـال عنا أننا نحب السـجس (الظلم) ونواخذ (نؤاخذ) بذلك من الحكـام. ثـالث ليلى (لئلا) يتضح كأننا أخصـام لأخوتنا وقاصـدين الشـكوى عليهم ولكن من حيث جنــــابكم أبو الجميع وطــــبيب الرعايا وقد زاد علينا الحـال حـتى ظهرنا من جملة العصـاة على أوامـركم وقد قاصصــتمونا لــذلك **فاقتضى الحــال أن نســتغيث بكرسيكم** تعيّنـوا بـأمركم أناسـاً من أهل الفطنة خـاليين الغرض ممن ترونهم أنتم يقعدوا في ما بيننا ويتبصروا في حـال حسـابنا وفي النهاية بعد أن يـردوا الجـواب لجنـابكم لكم التبصر فيما تــأمرون به ومع ذلك فــنرجوكم بــأن لا تظنـوا بكوننا قاصـدين بعرضـحالنا الشـكوى على أحد أم قصاصه بل قصاصــنا نحن بوجه خـاص إنكـان (إن كـان) يظهر كلامنا هــــذا بخلاف الواقع ثم إن هــــذا الأمر يدركه أيضاً **خادمكم الخاص حضرة الجـنرال يعقـوب** ومع ذلك لأجل طبعه الوديع محتار كيف يتصرف في مثل هــذه الـــــدعوى والله تعــــالى يحفظكم. من عند تـــــوابعكم المباشرين: ملطي وأنطوان"[6].

أقول: مع العلم أن ملطي هذا كان من أكبر زعماء الأقباط وقد ظهر نجمه في أيـام الاحتلال الفرنسي لمصر وقد تولى في عهد نابليون رئاسة محكمة القضـايا.. **وهي أول محاولة لتنحية الشريعة الإسـلامية في مصر** لأن هذه الهيئة كانت تتكون من اثني عشر تـاجراً نصـفهم من المسلمين والنصف الآخر من النصارى وأسـند منصب رئيس المحكمة إلى قاضي قبطي هو الملطي الموقع على العريضة السابقة للجنرال مينو الذي خلف كليـبر في الحكم.. وكذلك صـديقه أنطـوان الـذي كـانت تلقبه عـوام المصـريين بـأبي طاقية وكـان من كبـار زعمـاء الأقبـاط

---

[6] الجبرتي: عجائب الآثار، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج4 ملحق 29، ص787.

وأكثرهم غنى، وأما الجنرال يعقوب فهو نفسه المعلم يعقوب حنا رجل الاحتلال الفرنسي وخادمهم المخلص الذي رحل معهم إلى فرنسا..

هكذا لم يثبت تاريخياً أن النصارى قاوموا الإحتلال الفرنسي وأن حكاية اختراع بطولات وهمية مثل أن بعض الأقباط في ثورة القاهرة الثانية كان يمد الثوار بالمال واللوازم خاصة في منطقة بولاق أثناء حصار كليبر لأهالي بولاق.. فهذه شهادة الجبرتي:" وأما أكابر القبط مثل جرجس الجوهري، وفلتيوس، وملطي فإنهم طلبوا الأمان من المتكلمين من المسلمين لكونهم انحصروا في دورهم وفي وسطهم وخافوا على نهب دورهم إذا خرجوا فارين، فأرسلوا إليهم الأمان"[7].

إذن ما دورهم في مقاومة الاحتلال الفرنسي إلا الفزع الهلع وطلب الأمان ثم صاروا العين الحارسة لمصالح الإحتلال.. **بل إن زعيمهم المعلم يعقوب حنا كان شغله الشاغل هو حرب زعيم المجاهدين في منطقة بولاق حسن بك الجداوي**؟ لماذا؟ لأن حسن بك الجداوي كان يطلب من الأغنياء مساعدة المجاهدين لشراء أسلحة وبارود وذخائر ومؤن وكل مستلزمات المقاومة فكان من يدفع منهم مالاً كان لصيانة نفسه وخوفه من انتقام المقاومين الذين كانوا متترسين في منطقة بولاق بالقاهرة وضواحيها.

لذلك قال الجبرتي في عجائبه: "وأما المعلم يعقوب فإنه كرنك في داره بالدرب الواسع جهة الرويعي واستعد استعداداً كبيراً بالسلاح والعسكر المحاربين وتحصن بقلعته التي كان شيدها بعد الواقعة الأولى، فكان معظم حرب حسن بك الجداوي معه"[8].

هكذا استعد المعلم يعقوب لزعيم المجاهدين المسلمين وليس لجيش الاحتلال الفرنسي! **كما أننا نتساءل أين كان شباب الأقباط في ذلك الوقت ولماذا لم نر لهم دوراً في مقاومة المحتل الفرنسي ولو كان ضعيفاً**؟!

[7] الجبرتي: عجائب الآثار/مج4 ص335.
[8] الجبرتي: عجائب الآثار/مج4 ص336.

النقطة الرابعة: لماذا شارك الأقباط في ثورة 1919م؟

لا يهولننا بعض الكتابات التي تخرج بين فينة وأخرى مشيدة بدور الأقباط في الحركة الوطنية المصرية وإن كان كتابها من المسلمين؛ إذ للأسف الشديد فجل هؤلاء الكتاب ينطلق من منطلقات لا علاقة لها بالمنظومة الإسلامية لذلك نجدهم يرهقون أنفسهم في نبش التاريخ لعل وعسى يعثرون على حكاية أو قصة تثبت أن الأقباط كان لهم دور في مقاومة المحتلين، لذلك نجدهم يضخمون بعض الأحداث الفردية وتسليط الضوء عليها لتحسين دور الأقباط في حركة التاريخ المصري المقاوم للاحتلال.. لذلك يهتمون بثورة 1919م ومشاركة الأقباط فيها رغم أن الأقباط ما شاركوا فيها إلا ليأسهم من الإنجليز الذين كانوا ينظرون إليهم بعين الإزدراء؛ فالاحتلال الإنجليزي يدين بالولاء للكنيسة الإنجيلية التي لا تعترف بها الكنيسة الأرثوذكسية في مصر ولا حتى الكاثوليكية في روما، وهذا ما حدث من قبل مع نابليون وحملته العدوانية على مصر إذ تقرب الأقباط إليه واستخدمهم جيداً لكنه كان ينظر إليه أيضاً بعين الإزدراء فنابليون وإن كان لا دينيا فقد كانت لديه بقايا المعتقد الكاثوليكي مع الاعتزاز بتفوق الرجل الأبيض! فلا غرو إذن أن يشارك الأقباط في ثورة 1919م لأنهم علموا بالتجهيزات التي يقوم بها المسلمون للثورة ويعلمون أن جماهير غفيرة من كل فئات الشعب ستشارك وأن انطلاقة الثورة ستكون من جامع الأزهر فكان لابد من المشاركة بأمر بعض زعمائهم (على طريقة حساب المكسب والخسارة) لأنه لو نجحت هذه الثورة لكان من حقهم أن يشاركوا في الحكم بقوة وهم مطمئنون أن الدولة المصرية الحديثة التي وضع لبناتها محمد علي باشا قد غيبت الشريعة الإسلامية ومن ثم فلا حكم إلا بالقانون الوضعي السائد في ذلك الوقت.. وينطبق هذا على مشاركتهم في بعض الحروب لأن التجنيد كان إجبارياً بحكم مفهوم المواطنة ولا مناص أمام شبابهم إلا الالتحاق بالجيش لتفادي العقوبة العسكرية التي ستحل بهم.

النقطة الخامسة: الحقبة العلمانية منذ (1272هـ/1856م - إلى وقتنا الحاضر):

كــانت مصر تحكم بالشـــريعة الإســلامية منذ الفتح الإسلامي عام 20 هـ وكـان أول قـاض بمصر هو قيس بن أبي العـاص السـهمي في خلافة أمـير المؤمـنين عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه حـــتى وصل إلى ســـدة الحكم محمد علي باشا (ت 1849) الــــذي حمى النطفة الأولى للعلمانية التي استنسـخها الشـيخ رفاعة رافع الطهطـاوي (ت 1873) ثم جـاء خلفـاؤه وتبنـوا هـذا السـلخ الجديد (العلمانية) فأنشأوا المحاكم المختلطة سنة 1870م وبعد احتلال الإنجلـــيز مصر ســـنة 1882 أكملـــوا مشـــروعهم التخريـــبي في اســـتبعاد الشـــريعة الإســلامية من الحكم واستمر الوضع هكذا حـتى قـام انقلاب يوليو 1952م وتم القضاء على البقية الباقية من الحكم بالشريعة الإسـلامية وتم الاســتيلاء على أوقــاف المســلين فقط أما أوقــاف النصارى فلم تمس!!

وفي عهد محمد علي باشا استورد لنا الشــيخ رفاعة الطهطـــاوي مصـــطلح (المواطنـــة) حسب منطلقـــات المنظومة الغربية، وبموجب مفهوم هذا المصـطلح الجديد حلت رابطة المواطنة محل رابطة الـــدين وصـــار الـــولاء للـوطن مقـدماً على الـولاء للـدين.. ومن ثم فلا ضـرورة لعقد الذمة وأخذ الجزية ولسنا بحاجة إلى اتفاقية بـابليون الأولى والثانية حسب الوضع الجديد الـــذي تبنته الأســـرة العلوية حيث تم اسـتبعاد الشـريعة الإسـلامية رسـمياً من الحكم وتم إنشــــاء محــــاكم تحكم بقــــوانين مترجمة من فرنسا وإنجلترا وإيطاليا ولم يعد للشريعة الإسلامية مجال للحكم إلا في ما يسـمى بقـوانين الأحـوال الشخصـية من زواج وطلاق وميراث.

لذلك لا عجب أن يصبح في عهد الخديوي إســماعيل أول مجلس نيـابي بـالمعنى الغـربي، ونـواب أقبـاط لأول مــرة في تــاريخ مصــر: أصــبح لهم نــواب في المجــالس النيابية (كـان لهم نائبـان من أصل خمس وسـبعين عـام 1869، وأربعة من أصل ثمانين عام 1881).

ولأول مرة يكـون للأقبـاط قضـاة ومستشـارون في محـاكم الاسـتئناف. ومنذ عـام 1883 جـرى التقليد على تعــيين وزير قبطي واحد في كل وزارة، ثم ارتفع العـــدد إلى اثنين عام 1924 عندما شـكل سـعد زغلـول وزارتـه. وفي العقـدين الأول والثـاني من القـرن العشـرين، تـولى اثنان من الأقباط رئاسة الوزارة في مصـر، وهما بطـرس غــالي (1908 -ــ 1910) ويوسف وهبه باشا (1919 -

1920).ـ واشترك الأقباط في الأحزاب السياسية المصرية، فكان منهم اثنان في الهيئة التأسيسية لحزب الإصلاح الذي تزعمه الشيخ علي يوسف.

واثنان من أبرز أعضاء قيادة الحزب الوطني الذي أسسه مصطفى كامل، وستة عشر عضواً من أصل مائة وثلاثة عشر عضواً في حزب الأمة الذي تأسس عام 1907ـ كل ذلك تم ببركة محمد علي باشا وخلفاؤه الذين نحوا الشريعة الإسلامية التي ظلت حكم مصر منذ سنة 20هـ حتى حكم محمد علي باشا.

النقطة السادسة: اعتكافات الأنبا شنودة السياسية:

الأنبا شنودة الثالث وترتيبه رقم 117 في قائمة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية إذ شغل هذا المنصب بعد وفاة (كيرلس السادس) سنة 1971م وقد دأب الأنبا شنودة على اعتكافه السياسي إلى وادي النطرون كلما أراد أن يضغط على الحكومة للاستجابة لطلبات الأقباط المصطنعة؛ وقد فعل ذلك مع السادات عدة مرات ثم ها هو ذا يعود لهوايته القديمة لإجبار الحكومة على الإفراج عن المتظاهرين الأقباط وهذا ما سنشير إلى في **النقطة التالية:**

لقد أظهر محمد علي باشا وخلفاؤه المسألة القبطية ورغم ذلك فلم تنج من ألاعيب الحكام أيضاً مثل استغلال الرئيس أنور السادات (قتل 1981)ـ تطبيق الشريعة الإسلامية لكسب شعبية بعد أحداث 18، 19 يناير1977 م وللضغط على الأقباط ليكسب ودهم "وفي شهر أغسطس 1977 وفي أعقاب نشر الصحف لما **معناه أن الحكومة برئاسة ممدوح سالم تنوي تطبيق الحدود في الشريعة الإسلامية على المرتد عقد المجمع المقدس اجتماعاً في 1/8/1977 برئاسة البابا شنودة، وأصدر قراراً بتقديم مذكرة لرئيس الجمهورية تتضمن رفض الطوائف المسيحية تطبيق الشريعة الإسلامية وقانون الردة** وضرورة حل مشاكل الطائفة (..) واتخذ قراراً بإعلان الصوم الانقطاعي ابتداءً من يوم 5/9/1977 تعبيراً عن رفض مشروع قانون الردة. وبالتوازي مع هذه الحركة من الداخل كان للتكتلات القبطية والتي هاجرت واستقرت في أمريكا واستراليا تأثير كبير في الضغط

على التشـريعات، مسـتغلين كل وسـائل الضـغط المتاحة لهم من إعلام واتصـالات، ولم يهـدأوا إلا بعد أن أرسـلت لهم قيادتهم الدينية في القاهرة برقية تنـبئ بـزوال الأزمة بعدما سحبت الحكومة مشروع القانون"[9].

وهذا ما تكرر في قضية السيدة وفاء قسـطنطين إذ ذهب الأنبا شـــــنودة إلى معتكفه السياسي في دير وادي النطـــرون ليجـــبر الحكومة على الإفـــراج عن الأقبـــاط المتظاهرين الذين اعتـدوا بالسـباب والضـرب على رجـال الشرطة الأشاوس الـذين لا يظهـرون قـوتهم إلا في حالة اقتحـام المسـاجد فقط أو اعتقـال المسـلمين!! وفعلاً تم الإفراج عن المتظاهرين وإن كـان النـائب العـام قد أفـرج عن نصـــــفهم فبقيتهم ســــيفرج عنهم في مرحلة لاحقة حفاظـاً لهيبة الدولة الـتي لا هيبة لها أصـلاً لـدى شـنودة وبطانته، والمسلمين بالطبع.

النقطة الســــــابعة: حادثة الزاوية الحمراء بالقاهرة 1981م:

لقد شهدت هـذه المنطقة (الزاوية الحمـراء) أحـداثاً دامية إذ بدأ الأقباط بالاعتداء وقام المسلمون بالرد عليهم وملخصـها كـالتي: بـدأ الصـراع على قطعة أرض فضـاء لا عمـران فيها فقـام أهل الحي بإقامة سـور عليها وجعلوها مكاناً للصلاة وتعليم الأطفال القرآن الكريم، وكـان هنـاك قبطي اسمه كمال عياد يملك مـدفعاً آليـاً يطلق عليه في مصر (رشاش بورسعيدي) وكان منزله أمـام هـذا المكـان الذي أصبح مسجداً فيما بعد (مسجد النذير) فنزل وأطلق عدة أعـيرة نارية على الأطفـال الـذين يدرسـون في ذلك الوقت فقتل وجرح عدداً منهم وفر هاربـاً.. فلما علم أهل الحي بما حــدث ورأوا الــدماء ملطخة بحصــير المســجد هـاجوا ومـاجوا وطفقـوا يتتبعـون بيوتـات الأقبـاط.. وقد ذهبت أنا شخصـياً إلى مسـجد النـذير وكـان حي الزاوية الحمراء أشبه بساحة معركة عسـكرية؛ الـبيوت محترقـة، ومكتـوب عليها وعلى المحلات شـعارات من كل طـرف، قوات الأمن منتشرة في كل مكان، صـلينا هنـاك وبتنا في المسـجد رغم أنه كـان عبـارة عن مكـان محـاط بسـور وأرض مغطاة بالحصير للصلاة، وكان الناس يتوافدون من

---

[9] المناوي: الأقباط: الكنيسة أم الوطن، دارالشباب العربي للنشر والتوزيع والطباعة، مصر، ص 228 ومابعدها.

كل حدب وصوب بدافع حماية المسجد خاصة بعد علمهم أن النصارى قتلوا المسلمين في الزاوية الحمراء فهبوا للدفاع عنهم.. وشهادة للتاريخ فإن الذين ردوا عدوان الأقباط في الزاوية الحمراء كانوا من عوام الناس الذين لا تربطهم أية علاقات بالجماعات الإسلامية رغم قوة الجماعات الإسلامية في ذلك الوقت لكن بسطاء الناس الذين كانوا يجلسون على المقاهي ويدخنون الشيشة والنرجيلة هم الذين قاموا برد الاعتداء وخاصة لما سمعوا أن الأقباط يقتلون المسلمين ثم امتدت الأحداث إلى منطقة الوايلي بالقاهرة وكادت أن تعم القاهرة.. واستغل الأقباط في الداخل والخراج هذه الأحداث وصاروا يشنعون على المسلمين بالأكاذيب رغم أنهم هم الذين بادروا بالإعتداء، وقلبوا الحقائق وزعموا أن المسلمين هم الذين بدأوا قتال النصارى وهم الذين يحرقون بيوتهم.. ولا زلت أذكر هذه الأحداث ونحن نستمع لشهادات الناس **إذ تبين لنا أن الكنائس الكبرى بها سراديب وأخاديد ومكدسة بالأسلحة والذخائر... وهناك أماكن خاصة في الكنائس للتدريب على استعمال الأسلحة الخفيفة والتدريب على الكاراتيه والكونغفو.. وأن بعض القساوسة يتقنون استخدام الخناجر** بصفة خاصة وقد اقتحم بعض المسلمين في الزاوية الحمراء منزل أحد القساوسة الذي كان مختبئاً وراء دولاب الملابس.. إذ صاح فيهم فجأة وأشهر خنجره وكان ماهراً في رياضة الكاراتيه إلا أنهم تمكنوا من شل حركته.. وهنا اتهم المسلمون الدولة بتشجيع الأقباط على استعمال السلاح في الوقت الذي تحرمه على المسلمين!!

تلاعب السادات بورقة تطبيق الشريعة الإسلامية:

هكذا كان السادات يستغل الدين ويلوح في وجه الأقلية القبطية بتطبيق الشريعة الإسلامية وهو غير جاد وكاذب في نفس الوقت!! بغية تحقيق مكاسب وشراء ولاء الأقباط حيث يشعرهم أنه لولاه لطبقت الشريعة الإسلامية في مصر وهم يخشون تطبيق الشريعة الإسلامية رغم أنهم أيام تطبيق الشريعة الإسلامية قبل الحقبة العلمانية لأسرة محمد علي باشا كانوا يعيشون في أمن وأمان ولم تظهر مثل هذه المشاكل وما يسمى

بالفتنة الطائفية إلا في ظل الحكم العلماني وبسبب غياب الشريعة الإسلامية!!

النقطة الثامنة: محاضر الدولة وشيخ الأزهر:

في أيام الملك الصالح أيوب "كان في دولته نصراني يسمى (محاضر الدولة) أبا الفضائل بن دخان، ولم يكن من في المباشرين أمكن منه. وكان المذكور قذاةً في عين الإسلام، وبثرة في وجه الدين، ومثاله في الصحف مسطورة، ومخازيه مخلدة مذكورة، حتى بلغ من أمره أنه **وقع لرجل نصراني أسلم برده إلى دين النصرانية**، وخروجه من الملة الإسلامية، ولم يزل يكاتب الفرنج بأخبار المسلمين وأعمالهم وأمر الدولة وتفاصيل أحوالهم. وكان مجلسه معموراً برسل الفرنج والنصارى، وهم مكرمون لديه، وحوائجهم مقضية عنده، ويحل لهم الأدرار والضيافات؛ وأكابر المسلمين محجوبون على الباب لا يؤذن لهم، وإذا دخلوا لم ينصفوا في التحية ولا في الكلام. فاجتمع به بعض أكابر الكتاب فلامه على ذلك وحذره من سوء عاقبة صنعه، فلم يزده ذلك إلا تمرداً"[10].

أقول: لكن كانت هناك بقية من دين وحياء لدى سلاطين ذلك الزمان فلما علم السلطان بجرائم ابن دخان عزله وعاقبه.. وهذا ما لا يستطيع شيخ الأزهر وأنصاره من أهل المشيخة.. **فهل يجرؤ شيخ الأزهر أن يعلن اعتكافه في المسجد الأزهر مثلاً أو حتى في بيته احتجاجاً على تسليم السيدة وفاء قسطنطين التي أسلمت إلى الكنيسة وإجبارها على الردة**؟! هل يستطيع شيخ الأزهر أن يشهر في وجه رئيس الدولة آية سورة الممتحنة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ **فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ** لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ).. **وهل يستطيع شيخ الأزهر أن يعلن الاعتكاف ولو على سبيل التجربة** احتجاجاً على اعتقال 60 ألف مسلم يقبعون في سجون النظام المستبد منذ عشرين سنة؟ هل يعتكف شيخ الأزهر مرة واحد مطالباً رئيسه الذي عينه بمساواة الأغلبية (70مليون مسلم) بالأقلية (7 مليون قبطي) في كافة الحقوق التي يحصل عليها

[10] ابن القيم: أحكام أهل الذمة ـ ص188.

الأقباط ويحرم منها غالب الشعب المصري المسلم؟ لا أظن أنه سيفعل؟

النقطة التاسعة: هل نصارى مصر أهل ذمة حقاً؟

منذ حكم الأسرة العلوية فإن نصارى مصر لم يعودوا أهل ذمة بالمعنى الشرعي لهذا المفهوم للأسباب التالية:

أولاً: لم يعد الحاكم مطبقاً للشريعة الإسلامية ومن ثم فقد صار خارجاً على الشريعة الإسلامية ولا يعتد بكافة القوانين التي يصدرها إذ أنه والعدم سواء وما بني على باطل صار باطلاً ومن هذا الباطل تخليه عن تطبيق عقد الذمة على نصارى مصر.

ثانياً: تعتبر ممارسات أقباط مصر مثل تعاونهم مع المحتل الفرنسي يعتبر نقضاً لعقد الذمة أي أنهم قد نقضوا عقد الذمة قبل استبعاد الشريعة الإسلامية من الحكم رسمياً إبان حكم محمد علي باشا وأسرته.

ثالثا: أقباط مصر في حاجة إلى تجديد عهد الذمة مستقبلاً لأنه لا يوجد حاكم مسلم يطالبهم بتجديد هذا العقد وحتى وجود هذا الحاكم المسلم فإن زعماءهم من بطاركة وقساوسة وشمامسة مطالبون بتبصير بني جلدتهم أنهم غير معاهدين لفسخ عقد الذمة بردة الحاكم ولنقضهم العقد من خلال عدم التزامهم ببنود عهد الذمة المنصوص عليه في الشريعة الإسلامية.

رابعاً: إن وجود ضباط وجنود أقباط في الجيش المصري شاركوا في الحروب التي خاضتها مصر منذ 1956 وحتى 1973م لا علاقة له بعقد الذمة إذ أنهم تحت حكم علماني لا يطبق الشريعة الإسلامية سواء كان هذا الحكم (خديوية/ملكية/جمهورية) فإنه لا يكون بديلاً عن عقد الذمة لأنهم بموجب قانون المواطنة والجنسية

المصرية يتوجب عليهم أن يؤدوا الخدمة العسكرية وإلا سوف يحاكمون عسكرياً بعدم إطاعة الأوامر العسكرية التي تصل إلى حد الخيانة العظمى إذن فهم لم يشاركوا في هذه الحروب رغم قلتهم طواعية.

خامساً: لا يجوز أن تكون المواطنة بديلاً عن عقد الذمة وأخذ الجزية لأن المسألة ليست في بند أخذ الجزية فقط بل هناك شروط أخرى يجب أن يلتزم بها النصارى وقد أخلوا بها جميعاً ومنها وهي كالتالي:

" أما المستحق فستة شروط **أحدها:** أن لا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف له. و**الثاني**: أن لا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيب ولا إزدراء. و**الثالث**: أن لا يذكروا دين الإسلام بذم له ولا قدح فيه، و**الرابع**: أن لا يصيبوا مسلمة بزنا ولا باسم نكاح. و**الخامس**: أن لا يفتنوا مسلماً عن دينه ولا يتعرضوا لماله ولا دينه. و**السادس**: أن لا يعينوا أهل الحرب ولا يودوا أغنيائهم. فهذه الستة حقوق ملتزمة فتلزمهم بغير شرط، وإنما تشترط إشعاراً لهم وتأكيداً لتغليظ العهد عليهم ويكون ارتكابها بعد الشرط نقضاً لعهدهم"[11].

وفي حالة نقضهم يقول الماوردي: "وإذا نقض أهل الذمة عهدهم لم يستبح بذلك قتلهم ولا غنم أموالهم ولا سبي ذراريهم ما لم يقاتلوا ووجب إخراجهم من بلاد المسلمين آمنين حتى يلحقوا مأمنهم من أدنى بلاد الشرك، فإن لم يخرجوا طوعاً أخرجوا كرهاً" [12].

وهذا ما فعلوه في قضية السيدة وفاء قسطنطين، واستعانتهم بأعداء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ورغم علمنا أنهم قد نقضوا عقد الذمة منذ ما يناهز قرنين إلا أن ما قاموا به مع السيدة وفاء قسطنطين يعضد أنهم يتربصون بالمسلمين الدوائر.

<u>صفوة القول:</u>

إن أقباط مصر يرفعون شعارات بالية (مصر قبطية وستعود إلى الأقباط) ويقومون باستفزاز مسلمي مصر

---

11 الماوردي: الأحكام السطانية، تحقيق عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص256 وص257.
12 الماوردي: الأحكام السطانية، ص259.

ويستعرضون قوتهم التي يتوهمونها أمام وسائل الإعلام في تحد سافر لمشاعر المسلمين؛ السواد الأعظم لشعب مصر. فحسب آخر إحصائية فإن عدد سكان مصر وصل تقريباً إلى 77 مليون نسمة؛ نسبة الأقباط منها حوالى 7 مليون.. إذن المتبقي هو 70 مليوناً من المسلمين.. فهل يعي عقلاؤهم بما سيحدث لهم إذا نفد صبر عوام الشعب المصري وليس (الحركات الإسلامية) من جراء تعمدهم انتهاك حرمات المسلمين عبر تظاهراتهم المصطنعة وقنواتهم الفضائية التي تهاجم عقيدة المسلمين؟ إن ما يقوم به أقباط مصر بقيادة الأنبا شنودة الثالث إهانة لمشاعر المسلمين في مصر وفي العالم الإسلامي بأسره.

الأنبا شنودة الذي عودنا على اعتكافه السياسي في وادي النطرون مهدداً القيادة المصرية الخانعة المرتجفة من ضغوط الغرب؛ لن يجدي اعتكافه هذا إذا تمخض الزلزال وخرج المارد من قمقمه فلن يتحمل الشعب المصري كل هذه الإهانات المتكررة من أقباط مصر تلك الأقلية التي لا هم لها إلا الاستقواء بالغرب.. لا.. ولن تنفعهم أمريكا ولا قوات الناتو ولا من في الأرض جميعاً من غضبة الشعب المصري المسلم المكلوم المهان في دينه وكرامته.. فأفيقوا قبل أن يتمخض الزلزال.. وساعتها سيقول الجميع ولات حين ندم!

مركز المقريزي للدراسات التاريخية